مكتبة المقتطف

في عالم السدود والقيود

تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد — ٢١٩ صفحة من ورق مصقول حجم وسط
طبعة نشره مكتبة النهضة بمصر

أصدر هذا المؤلف النفيس الكاتب الشاعر الاستاذ العقاد فأتحف العربية بذخر من اثمن الذخائر الأدبية الحديثة ، كما اظهرنا على ناحية جديدة من أدبه الرائع وصورة من تفكيره العالي المتسم بنفاذ النظرة وصدق التعبير ، وقد تناول العقاد في كتابه هذا فترة شاجية من الفترات الخالدة في الحياة التي مر أشباهها قديماً بعض الفلاسفة والعلماء والشعراء فأطلقتهم بالنغمات الفريدة ، وأطلعتهم تجلي أبعد أسرار النفس وأطلقت خواطرهم بأسمى المعاني واجرت ألسنتهم بآيات الحكمة . وانك لتلمس في سطور الكتاب روحاً مبدعاً من التهكم الرفيق وتقرأ في فصوله تحليلاً عميقاً للنفس البشرية ، ونوازعها ، واستقراء واسع الاحاطة بالجزئية ودوافعها ، كل هذا في استطراد بديع ممتع واسلوب رائق شائق تشيع فيه الطلاقة والعذوبة والجمال والبساطة . وتلك خصائص يمتاز بها أدب العقاد ، ولكنها في كتابه هذا مثلة أجمل تمثيل من بدئه الى منتهاه . وأحب ان أقول انه قما يتاح لمن عبر عالم السدود والقيود من الكتاب والشعراء ان يوفقوا توفيق المؤلف في استكناه اسراره وطلاسمه وأعاجيبه ، في فترة مداها أيام او شهور ، من مرض غير رفيق ، وضيق نفس شاعرة تضيق بنظرتها آفاق الدنيا الرحبة المترامية . ولكن الومضات الخاطفة التي تنطلق من العقول المتألقة تغني عن إدمان النظر في الضحوة الساطعة ، للوصول الى حقائق الحياة وطبائع النفوس . والاستاذ العقاد هو القائل

أنا المفرد الزاري على الكون كله تبسم حال أو تجهم كالح

فهو على ما وصف به نفسه ، وما هو منيت في تضاعيف كتبه واشعاره ، رجل متمرد متوفز الشعور مرهف الحس ، لا يطيق الحدود ولا يأبه للقيود ، فاذا اضطربت روحه بالألم والنقمة على هذا العالم الذي قدر له ان يعبره فلا غرابة في ذلك ولا عجب ، والمفكرون الحرون بهذا الاسم متمردون بطبائعهم على الحياة يرون النقص والفساد شائعاً في أشكالها وأوضاعها حيث لا يرى الآخرون غير الصواب والتمام فيها . ولكن الجانب الانساني المركب في نفس العقاد كشاعر قضى على هذه الحواجز ، التي تقوم دائماً بين البيئات البعيدة التنافر والتناقض ووصل ما بينه وبين هؤلاء الذين يعيشون في عالم القيود والسدود فآنس فيهم متراداً لتأملاته وأفقاً جديداً لخطرات نفسه ، فعاد المتمرد الزاري على الاشباح الهائمة في عالم الحرية والطلاقة ، حانياً عطوفاً على هذه المخلوقات الجاثمة في عالم القيود والسدود ، يستروح متعة العقل والنفس في أحاديثهم ومحاورهم وغنائهم ومجونهم وطيشهم وخبثهم . وفي الكتاب شواهد على ما اسلفنا تطالعك في كل فصل بل في كل صفحة من صفحات الكتاب

علي محمود طه

اسماعيل المفترى عليه

لا شك في ان الخديو اسماعيل هو أول باني لمصر الحديثة ، مصر الاوربية في مظاهرها . فلقد كان طموحاً كل الطموح الى ان يجعل مقر سلطانه بعيداً البعد كله عن أن يعتبر جزءاً من القارة المظلمة افريقيا ، ولم يقصر في هذا السبيل ، ولم يضن على اخراج فكرته بالثمن

ولقد اجتمعت في هذا الرجل العظيم صفات بارزة من الشخصية القوية والعزم المتين والفكر السديد مما ضمن له السير بحكمة بين تيارات مختلفة من رغبات متباينة تثيرها فرنسا من ناحية وانجلترا من ناحية ثانية وتركيا من ناحية ثالثة

مني اسماعيل عند توليه العرش بتركة ثقيلة أورثها اياه سلفه فوجد من الحكمة أن يقف حيال اطماع فرنسا التي رمتها لنفسها عند تفكيره في حفر قناة السويس فيحولها عن وجهتها وبذلك يحفظ لمصر سيادتها على أراضيها وأبعد عنها الاستعمار الاجنبي — وقتذاك — وحافظ لها على مرافقها العامة بحرمانه شركة ترعة السويس امتيازاً يعتبر الآن من حق الدولة وهو ترعة الملاحة العذبة

ولقد كانت بصيرته النافذة الى صميم السياسة الاستعمارية سبباً فيما لقي من عنت أوربا ومحاولتها الاساءة اليه والتشهير به فاندفع كثير من رجال السياسة الى تشويه وجه التاريخ في صفحات هذا الرجل ، ولصقوا به تهمة الاسراف والتبذير على ملاذه وتحميل بلاده الدين الفادح في هذا السبيل

ارتدت مصر بعد اليقظة الاولى التي تلبثت فيها في عهد محمد علي الى رقدة طويلة وخمول عميق حتى آخر عهد سعيد فأراد اسماعيل أن يوقظها على فجر جديد . وطبيعي ان مثل هذه اليقظة تحتاج الى البذل في نواح شتى لبث الحركة والنهوض في كيان هذا البلد . ونحن الآن في الوقت الذي اتصلت مصر بالعالم الأوربي أوثق اتصال لا نزال نبذل آلاف الجنيهات في الدعاية كل عام بين طبع النشرات واستضافة الصحفيين الاجانب وعقد المؤتمرات الى غير ذلك من ضروب الاعلان عن مكانة مصر الادبية والاجتماعية ورفعها الى المستوى اللائق بها بين أمم العالم . اذا كانت هذه حالنا الآن فما بالنا بمصر منذ سبعين عاماً ، ألم تكن وقتذاك بأشد حاجة منها في وقتنا الحاضر الى الدعاية الطويلة والعريضة معاً وهي في دور التكوين والخلق في كل نواحيها ؟ ! لقد أراد اسماعيل إيقاظ مصر ولكن تلك اليقظة غالية الثمن فهل يضن عليها بذلك ؟ ان نفسه العظيمة الفياضة بالطموح لتستصغر كل شيء وتسترخص كل غال . غير ان الحاجة الى المال ألجأته الى معاملة شر المرابين الدوليين فكانت النتيجة القاسية ، ولكنها اذا قيست بما أسدى للبلد من ضروب الاصلاح في مرافقها العامة مع مقابلة ذلك بما تفعله دول العالم في هذا السبيل لهانت تلك النتيجة شيئاً ما

تاريخ اسماعيل صفحة شوهتها الاغاليط حتى أصبح صاحبها في نظر المصريين قبل الاجانب المبذر المتلاف الشهواني ذا الرغبات الذاتية . وأصبح كل مؤرخ لعصره يستجمع أقوال كرومر وملنر وكولفن واضرابهم ويستعرضها في بحثه ويرجع اليها كقضايا مسلم بها على فساد التدبير في حكم هذا العاهل

ولكن الحق هو الحق ، وان طال عليه جحود الزمن ، فلقد أتيح بعد نصف قرن لهذا الرجل

العظيم مؤرخ فانوني نافذ البصيرة نقادها ، يتبع الحجة بالحجة حتى تتكشف له من بين ثنايا السطور التي خطها هؤلاء الساسة عن حجج قوية في مصلحة قضية اسماعيل المفترى عليه

ذلك هو القاضي الاميركي بيج كرابتيس الذي تصدى لانقاذ سمعة الحاكم المصري فاستطاع ان يخرج لنا صفحة نقية بدلت وجه التاريخ المصري في ذلك العهد . من ذلك انه اضعف الدعوى الشائعة عن استماعيل الشهواني الغارق في لذاته فأثبت ان اللذة والاستمتاع وليدا الكسل ، وكان الكسل أبعد الصفات عن هذا الرجل الذي كان يقضي كل يوم من اثنتي عشرة الى اربع عشرة ساعة في القيام بأعمال الدولة ، ولو فرض انه استطاع ان يترك العنان لنفسه في الملذات لأثر ذلك بمرور الأيام على ذاكرته التي شهد مورلي بل يقوتها .

ومن ذلك ايضاً انه رفع عن عاتق اسماعيل تبعة عدم ملكية مصر اليوم حصتها في أسهم القناة بفقرة من دائرة المعارف البريطانية تثبت ان حصته في ارباح الشركة التي بيعت بعد نزول اسماعيل عن عرشه تمت صفقتها حين كان لورد كرومر صاحب السلطان المطلق في الرقابة الثنائية ، وكان في وسعه ان يعقد بكل سهولة قرضاً يضمن تلك الحصة لو انه ادرك ما في بيعها من الخطر العظيم . وعرض المؤلف امامنا بعضاً من محامد اسماعيل في مقدمتها استنقاذه من الشركة الفرنسية ستين الف هكتار من الارض تساوي الآن اضعاف قيمتها التي قدرها تولون الثالث في سنة ١٨٦٤ بمليون ومائتي الف من الجنيهات وكذلك استعادته لامتياز ترعة المياه العذبة

وأطلعنا بالبيانات والارقام الثابتة ما لاقته مصر من ضروب الاصلاح في المرافق العامة في عصر اسماعيل كحفر الترع ومد السكك الحديدية والاكثار من دور التعليم الى غير ذلك مع مقابلتها بمثيلاتها حتى آخر عهد سعيد . وهذا غير ما قام به من مساعدات جمة لبيكر وامثاله من رجال الاستكشاف العلمي في مجاهل افريقيا وعمارته للنخاسة في السودان وبذله في هذه السبل ما انقل ديونه فأسدى الى العلم يداً جليلة

وصوّر لنا المؤلف في فصول مختلفة كتبها بروح قصصية جذابة ما كان يقيمه رسل السلطان العثماني مع اسماعيل مما دعاه الى تقديم هدايا ورشاوٍ كلفته اموالا طائلة ، كانت سبباً في اتهامه بالتبذير فيما لا يجدي . وقد دلل المؤلف على ان هذه الهدايا والرشاوى وان بلغت قيمتها ما بلغت بوميذاك فلنها لا تساوي ما كان يصرفه اسماعيل لو انه حارب تركيا ، فكانت هذه الهدايا والرشاوى سبباً في خطب ود السلطان وحقن الدماء وايقاف خطر مالي جسيم والفوز بالاصلاح القضائي والاستقلال الذاتي . وقد أورد المؤلف ما كان يمد اليه بعض الوكلاء الدبلوماسيين الاجانب في استعمال نفوذهم لينتزعوا مالا لتوفية اوقح المطالب واستشهد على ذلك مما ورد في كتاب لورد ملنر « انجلترا في مصر » من حوادث هؤلاء الوكلاء مما يبعث الدهشة ويدعو الى الضحك والسخرية . وهذا قليل بالقياس الى ما اغدق على اشياع السلطان

هذه لمحة سريعة الى هذا الكتاب النفيس الذي غير صفحات التاريخ المصري الحديث لحياة أهل مصر المفترى عليه وكشف عن نواح خفية جديرة بالاطلاع وجديرة بالدرس على ضوء الحجج التي اثارها كرابتيس السبل على الباحثين ومهدها لهم حسن كامل الصيرفي

مشكلة السكان في مصر

The Population Problem in Egypt, by Wendell Cleland, 1936

يجد القارىء في مكان آخر من هذا الجزء من المقتطف مقالاً في عدد سكان مصر من العصور القديمة الى ما بعد الفتح العربي في القرن السابع الميلادي . وهذا المقال ملخص عن كتاب الدكتور وندل كليلند « مشكلة السكان في مصر » . ولا يظنّ القارىء ان هذا الكتاب يعنى بالموضوع من ناحيته التاريخية فقط ، لأن جميع فصوله ما عدا الفصل الأول وقف على دراسة مشكلة السكان من نواحيها المختلفة في مصر الحديثة . فهو يعالج مسائل حيوية ، بدأنا ندرك شيئاً من خطرها منذ شرعنا نعالج بشيء من الصراحة موضوع تحديد النسل في الشهور الأخيرة . ومن محاسن الصدف ان يصدر هذا الكتاب والعقول متنبهة للموضوع الذي يعالجهُ بوقوع الاحصاء العام في بدء هذه السنة واهتمام الصحف والجمعية الطبية وعلماء الاجتماع ببحث مشكلة تحديد النسل التي صدر في صددها فتوى شرعية

والدكتور كليلند ، أهلٌ لمعالجة الموضوع . فقد تدرّب على اساليب هذا البحث الاجتماعي البيولوجي الاحصائي ، في خيرة معاهد اميركا . وهو يقيم في مصر من عشرين سنة استاذاً في جامعة القاهرة الاميركية قديراً لتسم الخدمة العامة فيها وقد اتصل في خلالها بمثلي جميع طبقات الشعب المصري من كبار رجال الحكومة والقرية الى صغار الفلاحين واولاد الفقراء والمعوزين في مراكز رعاية الطفل . فاتجهت عنايتهُ الى دراسة موضوع السكان دراسة علمية عملية منظمة ، كان حاديهُ عليها ما شعر بهِ من العطف على الفقراء واولادهم وما يعانونهُ من الفاقة والمرض ، وغرضهُ فهم هذه المشكلات الاجتماعية الخطيرة بغية الوصول الى ما قد يتيسر الطريق الى حلها

ان عدد سكان مصر قد زاد زيادة سريعة في نصف القرن الماضي حتى بلغت الزيادة بين سنتي ١٨٩٧ و١٩٢٧ — ٤٧ في المائة والازدحام في سنة ١٩٢٧ بلغ ١٠٤٥ في الميل المربع من الاراضي المزروعة ، ومع ان مساحة الاراضي المزروعة لم تزد في المدة عينها الا ٨ في المائة فان تحسين وسائل الريّ جعلت الزيادة في مقدار المحاصيل ٢٨ في المائة . ولذلك زاد ازدحام السكان في ١٠٩ في سنة ١٨٩٧ الى ٢٢٦ في سنة ١٩٢٧ اي ان زيادة الازدحام بلغت ٣٧ في المائة . فمن الواضح ان الزيادة في مقدار الحاصلات الزراعية كان اقلّ من الزيادة في نموّ السكان وازدحامهم

ولما كان ثمانون في المائة من اهل البلاد يشتغلون بالزراعة ، والحاصلات الزراعية هي مورد الثروة الاول ، فمن الواضح ان زيادة نموّ السكان على نموّ ما يجنى من الارض ، لا بدّ ان تفضي الى خفض مستوى المعيشة ، وهو ليس بالمستوى العالي على كل حال . ثم ان توسيع نطاق الاساليب الحديثة في الري ، افضى الى زيادة انتشار البلهارسيا والانكلستوما فأضعف انتشارها من حيوية

الفلاحين . ونشاطهم . فالزيادة في عدد السكان تقابلها هبوط في مستوى المعيشة من الناحيتين الاقتصادية والصحية

هذا هو قلب مشكلة السكان التي تعانيها مصر ، ولا ينكر لها حلٌّ . وغرض هذا الكتاب توجيه النظر اليها ، وبحث العوامل الاساسية فيها

لخصنا في غير هذا المكان بعض ما جاء في الفصل الاول وهو عرض تاريخيٌّ . ولكن الفصول الباقية وهي ثمانية تقسم بوجهٍ عام الى قسمين . فالقسم الاول يعالج مشكلة السكان من الناحية العددية أو الاحصائية ، وهو يشتمل على الفصل الثاني وفيه بحث في المصادر التي يصحُّ الاعتماد عليها ونقدها والفصل الثالث وهو يتناول ازدحام السكان والرابع وهو يتناول المواليد والخامس وهو يتناول الوفيات . اما القسم الثاني فيعالج مستوى المعيشة من حيث الملبس والمأوى والغذاء والثقافة العامة (الفصل ٦) والصحة العامة وصلتها بنظام الري (الفصل ٧) وعلى سكان مصر اكثر مما تتسع لهم اراضيها (الفصل ٨)

وقد وقف الفصل التاسع على الاحكام العامة التي خلص اليها من بحثه

مصطفى النحاس أو الزعامة والزعيم

درس بحث وتحليل

صفحاته ٤٣٠ من القطع الكبير طبع في مطبعة مصر

هذا كتاب نفيس أصدره الاستاذ عباس حافظ من اشهر كتاب العربية واطرفهم باعاً في ضروب البلاغة والفصاحة تناول فيه زعامة حضرة صاحب المقام الرفيع دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا ذي الرآسات الكثيرة بالتحليل والشرح فوضع بكتابه دروساً في الوطنية اقتبست من سيرة زعيم البلاد الكبير وأوحت بها فعاله الغر الميامين . ولقد اتى المؤلف الفاضل على تاريخ نهضة مصر في عهدها الاخيرة باسهاب وشرح ما استلزمهُ البحث من سير النهضات المجاورة لمصر فتكلم عن نهضة ايطاليا بزعامة المنيني وموسوليني ونهضة الهند بزعامة مهاتما غاندي وغيرها

شرح المؤلف كثيراً من خصائص صاحب المقام الرفيع عند ما كان جنديًّا في ميدان الجهاد الوطني وهو قاضٍ وكيف كان يحمل المنشورات الوطنية ويوزعها على نقابة المحامين ويزوّد المحامين بالاوامر واسهب في فضل نشأته الدينية وطهارته الخلقية والنفسية وقوة ارادته وعمله الجليل في رفعة شأن البلاد وظفره بمحاربة خصمه القوي الشديد وحسب القارىء الكريم أن يطلع على بعض الموضوعات التي درسها الكتاب ليلم بما وراءها وها نحن نذكر منها شيئاً : —

« سر الزعامة والعوامل والمؤثرات في نشأتها والصفات والخواص المشاهدة في الزعامة والزعماء والشخصية البارزة وصفاتها ومختلف مظاهرها وقوة الارادة وضبط النفس والباقة والروح المرحة والأسلوب والتنظيم وحاجة الزعامة اليها واخطار الزعامة والعوامل السيئة التي تتأثر بها والزعامة والزعماء في النظام الديموقراطي والمروءة والزعامة في الشرق وظهور غاندي والثورة المصرية في أدوارها الأولى وسعد زغلول في دور التكوين وزعامة سعد وظهور مصطفى النحاس ونشأته وتكوينه وحياته العملية وفي عهد الثورة وسعد ومصطفى ببنيان الديمقراطية والدستور ومصطفى النحاس زعيم الامة وقائد الشعب وفي الكفاح للدستور والاستقلال وتوافر صفات الزعامة فيه » . فمن هذه الموضوعات يتبين القارىء النواحي التي درسها المؤلف الفاضل بأسلوبه الشامل وعقله المفكر وسعة معلوماته ودقيق اطلاعه فجاء كتابه درساً مفيداً للجيل الحاضر والاجيال القادمة

وقد حلل المؤلف نفسية دولة الرئيس الجليل فبين ما فطرت عليه من فضائل وحب الخير وبين قوتها وعزتها وصلتها بالله العلي العظيم واثر الزعيم الديني وفوزه في معترك الحياة لانهُ يستمد ايمانه وثقته من الله وطهارة ذمته وقوة ارادته وحصافة رأيه وكيف اذعن الجميع لزعامته ونختم كلمتنا بهذه الجملة نقتبسها من قول المؤلف قال حضرته في صفحة ٥٤٠ مايلي : —

« ولقد اتاح الله لنا في مصطفى النحاس زعيماً مؤمناً ورئيساً وطنيًّا به دافعاً . وفي ذلك قوة اخرى بجانب قوات جهادنا ومناعة من اليأس والوهن تجتمع الى مناعتنا كأمة شابة مستبسلة وحصانتنا . . . وبفضل ايمان زعيمنا محونا من تجربة اعدائنا وظللنا نكافح الى الآن بثباتنا وثقتنا بالله وقوة صبرنا ومراسنا . وما دمنا مع مصطفى النحاس ، ومادام هو المستلهم السماء من اجله ومن اجلنا فلن يقهرنا خصومنا ، ولن نغلب على امرنا مهما تألبت علينا جموع الاعداء والمحاربين

« ولقد تقدم بنا في الجهاد على لحن ايمانه ، وساق بنا الى النصر على حداء وجدانه فغار في كل خطوة خطاها بمعنى جديد من معانيه ، كلما اشتدت الحلكة على طريقه لتغريهُ بالعدول عن مسيره والرجوع عن وجهه ، انبثق الضياء فبدد الظلام ودياجيه ، وكشف عن جديد من فضائح خصمه ومخازيه وكلما وسوس الامل في صدر اعدائه انهم قد تمكنوا منهُ او كادوا يتغلبون عليه ، دهمتهم داهية من الغدر ، وفاجأتهم مفاجأة جديدة من السماء فانقلبوا من بعد الامل يائسين »

***

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة مصر ومزدان بصور الزعماء فهو درس مفيد في باب الوطنية المصرية

شوقي او صداقة اربعين سنة

تأليف الامير شكيب ارسلان — صفحاته ٣٠٤ قطع المقتطف — مطبعة عيسى البابي الحلبي

كلُّ ما يكتبهُ الامير شكيب ارسلان جدير بالاهتمام وامعان النظر لان فيه متعة للخاطر وغذاء للذهن ، ولا بدع في ذلك فالامير شكيب سريُّ النسب سريُّ الفكر سريُّ القلم وقد اتصل برجالات الشرق العربي وسائر العالم الاسلامي بصلات ودٍّ واحترام متبادلة ، واشترك في اعمال النهضة الادبية والحركة السياسية خلال الاربعين السنة الماضية اشتراكاً فعّالاً ، هيأ لهُ معرفة كثير مما انطوى بانطواء صحف الاقطاب الذين لازمهم وصاحبهم وراسلهم . فني جعبته سواء اعتمد على الذاكرة ام رجع الى اوراقه ، حوادث ونوادر هي في الطبقة الاولى متعةً ومقاماً عند ما يحين الوقت لكتابة تاريخ هذه النهضة

وجذا الحال لواتح للامير ان يتفرغ لكتابة ذكرياته الادبية والسياسية ، فان اقطاب الغرب جروا على كتابتها في مجلّدات هي من انفس ما ينشر على الناس

وهذا الكتاب الذي نحن في صدده اليوم خاص في قسمه الاول بما لا يزال عالقاً بذهنه عن صداقته لشوقي ، وقد بدأت منذ نحو اربعين سنة ، واتصلت خلالها اوثق اتصال ، ويحتوي في قسمه الثاني ، على دراسات ادبية بيانية في امهات قصائد شوقي وميزاتها

***

يروي الامير انهُ جاء مصر اولاً سنة ١٨٩٠ وكان حينئذٍ بين العشرين والواحدة والعشرين فمكث شهراً في الاسكندرية ثم جاء القاهرة وانضمَّ الى الرهط الملتفّ حول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ولم يكن احد قد سمع حينئذٍ « بشخص يقال لهُ شوقي ولا احسسنا لهُ ذكراً »

ثم غادر مصر في تلك السنة ولم يسمع بشوقي ، وكان حينئذٍ يراسل الاهرام ، فكانت تصلهُ اعدادها فوقع في احد الايام على ابيات لامية في مدح الخديو توفيق من نظم « احمد افندي شوقي » . قال الامير « ولما كان الناظم مجهولاً عندي لم اشأ ان اضيع وقتي بقراءة الابيات » ولكنهُ لم يطل الامر حتى رأى ابياتاً اخرى لاحمد افندي شوقي فجرّب ان يطالعها فلم يعجبها ووضعهُ حينئذٍ في طبقة الشعراء الذين يقال فيهم « من حقه ان تسمعهُ » . وبعد قليل قرأ لهُ قصيدة ثالثة وهي التي مطلعها

ان الوشاة وان لم أحصهم عدداً تعلموا الكيد من عينيك والقدا

فطرب لها وأعاد قراءتها وعلم ان هناك شاعراً مطبوعاً وأصبح كلما رأى شعراً لأحمد شوقي

يتهافت عليه «تهافت الظآن على نمير الماء لأني رأيت الشاعرية بجميع شروطها : النسج الرقيق المتين والأسلوب الرشيق الرصين ، اللغة العربية الفصحى التي لا تؤبى من جهة ، والمعنى الشاهي في الدقة اللابس من اللفظ أجمل حلة والانسجام المطرد من الأول الى الآخر في سكب واحد وسبك متوارد »

ولكن الأمير وشوقي لم يجتمعا الاّ سنة ١٨٩٢ في باريس وكان الامير قد ذهب اليها مستشفياً ، وشوقي جاءها من مونبلييه حيث كان يتلقى علم الحقوق . وتمّ الاجتماع في الحي اللاتيني ولكن الامير لسى كيف تعارفا «ولكن لم يجتمع حتى صرنا كاخوين» وكان ثالثهما مقهى داركور « وفي أثناء لقائنا الاول كنا نتذاكر حول أمور كثيرة ولكن أهم حديث كنا نخوض فيه هو حديث الشعر وكان مع شوقي ديوان المتنبي . . . » ويروي الامير أنهُ الذي أشار على شوقي حينئذٍ بأن يجمع قصائدهُ ويجعل منها ديواناً فلما سألهُ وأي اسم أعطيه قال الامير : سمه الشوقيات فنسبة هذا الشعر اليك هي عندي كافية . وقد ذكر شوقي هـذه القصة في ديوانه الطبعة الأولى سنة ١٨٩٨

***

ومن النوادر اللطيفة التي جرت لها ان شوقي ذهب الى لبنان ووصل عاليه وكان الامير مصطافاً في صوفر فقيل لهُ ان شوقي في عاليه وانهُ يريد مشاهدتهُ . وكان الامير متوعكاً فبعث الى شوقي ان ينتظرهُ وانهُ يكون في الغد عنده . وبكر اليه في اليوم الثاني وذكر لهُ سبب تأخره فقال شوقي على الفور : رجوت ان تكون كاذباً ولا تكون مريضاً . فقال الامير : المرض احب اليّ من الكذب

وكان آخر اجتماع لهما عند عودة الامير شكيب من الحج ، سنة ١٣٤٧ هـ ، فذهب شوقي الى مقابلته فيها ، وكانت قصيدة شوقي في دمشق ذاعت على الالسن ومن ابياتها في بني معروف واليهم ينسب الامير

لكل لبوءة ولكل شبل فضال دون غابته ورشق

قال الامير وقد جرّنا الحديث الى هذه القرية فقلت لهُ : عندما بدأت بقولك (لكل لبوءة ولكل شبل) خفت ان يكون جواب هذه الجملة (فضال عن مغارته ورشق) فقال لي (وهي ايه) قلت لهُ هي : (فضال دون غابته ورشق) والغابة هي المغارة كلتاهما مأوى للاسد ولكن الغابة اخف وقعاً على السمع واقرب الى الالسن

رحم الله شوقي ومدّ في عمر الامير ونفعنا بعلمه وفضله

تاريخ الفلسفة اليونانية

تأليف يوسف كرم — مدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية — صفحاته ٣٠١ قطع المقتطف
اصدرته لجنة التأليف والترجمة والنشر وتد طبع بمطبعتها

هذا كتاب مدرسي متقن في تاريخ الفلسفة اليونانية . ومقام الفلسفة اليونانية في تاريخ الفكر لا يحتاج الى شرح او بيان . ويكفي ان يذكر القراء أسماء اعلام كهرقليطس وفيثاغوراس وانكساغوراس ولوقيبوس وزينون الايلي وسقراط وانبادقليس وديموقريطس وأفلاطون وأرسطوطاليس وأرسطخس القوريني وديوجنوس وزينون الكلبي ليعلم اي ذكرى بلغتها الفلسفة اليونانية ، في تعاليم هؤلاء الرجال وأحكامهم . والفلسفة اليونانية هي على ما قال المؤلف «فلسفة الشرق الادنى منذ فتوح الاسكندر ، وفلسفة الغرب منذ استولى الرومان على بلاد اليونان في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد . . . . اصطنع المفكرون المسيحيون هذه الفلسفة ثم اصطنعها المفكرون المسلمون ، ودخلت المدارس في الشرق والغرب فكونت العقول وهيمنت على وضع العلوم»

ليس ثمة مسألة من مسائل الفلسفة لم يعالجها اليونان ، وما يتحدّر اثر مما قالوه فيها الى العصر الحديث . «فقد نظروا في سمى المسائل مثل الوجود والتغيّر والخير والشر والاصل والمصير» فكانوا «اساتذة الانسانية»

« وقد اجتازت الفلسفه اليونانية ثلاثة ادوار هي دور النشوء ودور النضوج ودور الذبول

«والدور الاول فيه وقتان : الوقت المسمى بما قبل سقراط وهو يمتاز باتحاد وثيق بين العلم الطبيعي والفلسفة . ووقت السوفسطائيين وسقراط يمتاز بتوجه الفكر الى مسائل المعرفة والاخلاق

« والدور الثاني يملأه افلاطون وارسطو . اشتغل افلاطون بالمسائل الفلسفية كلها وجهد نفسهُ في تمحيصها ولكنهُ مزج الحقيقة بالخيال والبرهان بالقصة ، حتى اذا ما جاء ارسطو عالجها بالعقل الصرف ووفق الى وضعها الوضع النهائي

« الدور الثالث يمتاز بتجديد المذاهب القديمة وبالعود الى الاخلاق والتأثر بالشرق والميل الى التصوف مع العناية بالعلوم الواقعية »

وهذا الكتاب من أوّله الى آخره شرح لهذا الايجاز

هنا اقطاب الفلسفة اليونانية ، في أبواب وفصول وفقرات مرتبة منسّقة على خير ما تروم من ترتيب وتنسيق ، بذ موجزة في سيرهم متى ولدوا وأين نشأوا وعلى من تلقوا العلم والفلسفة هنا آراؤهم الفلسفية مبسوطة في دقة ، يسيغها قارئ لم يدخل صروح الفلسفة من أبوابها ويرضى عنها الاستاذ ، وهذا عمل شاقّ لا يتاح النجاح فيه الا لمن كان كمؤلف هذا الكتاب

أخذ الفلسفة عن أساطينها ثم قضى العمر بعد الاجازة في درسها وتدريسها

معظم الفلاسفة يجتمع طوائف طوائف في هذا الكتاب وفقاً للرأي الفلسفي الذي يؤلف بينهم . فالطبيعيون الاولون هم طاليس وانكسيمندريس وانكسيمانس وهرقليطس . الاول يقول ان الماء اصل الاشياء والثاني يفسر تكوين الاشياء تكويناً آليًّا اي بمجرد اجتماع عناصر مادية وافتراقها بتأثير الحركة والثالث ان الهواء اصل الاشياء والرابع ان النار اصل الاشياء

وكذلك فعل المؤلف بسائر الفلاسفة . اما افلاطون وارسطوطاليس فقد افرد لكل منهما باباً خاصًّا به وفصّل آراءهما الفلسفية وحلل اشهر مؤلفاتهما

ولعل القارىء يطرب من بعد وصف الكتاب وتبويبه مثالاً على اسلوب المؤلف وهو اسلوب جمع بين التصد والابانة ، فاليك لسوق الفقرة التالية وقد فتحنا الكتاب اتفاقاً لنقل شيء منهُ فاذا هي امامنا وموضوعها «الفضيلة» وهي في سياق الكلام على افلاطون صفحة ١١٨

ا — الفضائل ثلاث تدبر قوى النفس الثلاث : الحكمة فضيلة العقل تكمله بالحق — والعفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الأهواء فتترك النفس هادئة والعقل حرًّا — وتوسط هذين الطرفين الشجاعة وهي فضيلة القوة الغضبية تساعد العقل على الشهوانية تقاوم إغراء اللذة وعثاقة الألم . والحكمة أولى الفضائل ومبدؤها فلولا الحكمة لجرت الشهوانية على خليقتها وانقادت لها الغضبية ولو لم تكن العفة والشجاعة شرطين للحكمة تمهدان لها السبيل وتشرفان بخدمتها لما خرجتا من دائرة النفس الى دائرة الفضيلة اذ « ما الهرب من لذة لنيل لذة اعظم سوى عفة مصدرها الشره ، وما خوض الخطر لاجتناب خطر آخر سوى شجاعة مصدرها الخوف . ليست الفضيلة هذه الحسبة النفسية التي تستبدل لذات بلذات وأحزاناً بأحزان ومخاوف بمخاوف كما تستبدل قطعة من النقد بأخرى فان النقد الجيد الوحيد الذي يجب ان يستبدل بسائر الأشياء هو الحكمة بها تشتري كل شيء وتحصل على كل الفضائل ، اما الفضيلة الخالية من الحكمة والناشئة عن التوفيق بين الشهوات فهي فضيلة عبدة » . فالفضيلة اذن من جنس العقل والنفس ولا يسوغ ان نذكرها الا بالإضافة اليها ، والحياة الفاضلة لا تستمد قيمتها من لذتها او منفعتها بل من هذه الاضافة ، ويستحيل على من يفكر النفس والعقل ان يقع الى معنى الفضيلة

ب — واذا ما حصلت هذه الفضائل الثلاث للنفس خضعت الشهوانية للغضبية والغضبية للعقل تحقق في النفس النظام والتناسب . ويسمي افلاطون حالة التناسب هذه بالعدالة باعتبار ان العدالة بوجه عام اعطاء كل شيء حقه . فليست العدالة عنده فضيلة خاصة ولكنها حال الصلاح والبر الناشئة عن اجتماع الحكمة والشجاعة والعفة . اما العدالة الاجتماعية فهي تحقيق مثل هذا النظام في علاقات الافراد .....

تابع المنشور على الصفحة ٥٥٧

وهو في الشرق بحق — في هذا العصر — كنيتشه في الغرب تماماً الا ان الثاني أي نيتشه رام المجد عن طريق الهجوم فحض على الحرب والكفاح والقوة فكان من مفاخر شعره الحرب الكبرى بالامس ، واليوم لنظرية الاجتماع الشائعة في المايا ودعوة النازية المتعصبة وطرد اليهود واضطهادهم والقوة السارية في شرايين الامة كالكهربائية والتحفز للوثوب بغية المجد والامل والقتال . أما الاول — اي الزهاوي — فقد رام المجد عن طريق الدفاع . الدفاع عن الشرق المهيض اجناح ، الشرق الذي يترصد له الغرب ويسد عليه السبل ويبغي أن يجعله لقمة سائغة في جوفه الوسيع الذي لا يشبع . ولم ينفل الزهاوي في يوم ما احياء الهمم الراكدة واذكاء روح القوة في النفوس الخامدة وتذكيرنا ماضينا المجيد غير ان ضعف اسلوبه لم يجعل لاناشيده تلك العذوبة التي بتنيها كل لسان وتشيع بين الناس كالامثال . اما تمرده فقد كان في بعض الاحايين ينصب على رجال الدين ، وذلك يرجع لتأثره بتعاليم استاذه المعري ولان كلا الرجلين لاقى الامرين من تعصب رجال الدين الذين لا يتبعون خطوات العلم ويوفقون بينه وبين الدين

وعلى الرغم من ان بعض المدارس الادبية تظن تمرده هذا انما هو تمرد على الدين نفسه ، فان اناشيده الثورية التي نادى بها يستفز الهمم ويوقد نار الوطنية في الصدور ويشعرنا بكرامتنا المهدورة وحتمنا المضاع ووحدتنا المتفرقة مستبسلاً في دعواته الاصلاحية التجديدية فيثبة بترداده ألسنة الشباب ، شباب الشرق العربي اولئك الدعاة الجدد الذين يحملون اليوم عبء المجد الثقيل .

انظر الى قصيدته «حث على الاقدام» التي وجهها الى الطلبة الشرقيين والتي بدأها بقوله :

ثوا بألسنة لكم من نار ما في جماجمكم من الافكار
سيروا الى غاياتكم في جرأة كالسيل هداراً وكالاعصار
ثوروا على العادات ثورة حانق وتمردوا حتى على الاقدار
كونوا جميعاً سادة لنفوسكم فالعصر هذا سيد الاعصار

الى ان يقول وهذا ما لا نقره عليه بعض الشيء :

لا تقبلوا في الدين ما رووهُ الا اذا ما صح في الابصار
الى ان يقول : وتحرروا من قيد كل عقيدة سوداء ما فيها هدى للساري
أمن اكتفى بخرافة هو مؤمن ومن امترى فيها من الكفار ؟

وهذا دستورنا نحن الشباب ، لكنهُ عند قوله :

انضوا القديم وبالجديد توشحوا حتام تختالون في الاطمار

حكم خاطىء ، وان كان يهتدي بهدى المنطق العلمي المنطلق من عقاله — على حد زعمه — فما كل جديد بصحيح وما كل قديم بزائف كما اسلفنا القول من قبل «الحديث بقية»

فهرس الجزء الخامس من المجلد التسعين

٥٢٧ الفيتامينات وأثرها في الصحة والمرض والنمو
٥٣٦ الجباية في الاسلام : لفارس بك الخوري
٥٤٢ الجغرافية الحديثة : لمصطفى عامر
٥٤٨ أهذا دم بشري ؟
٥٥١ الزهاوي : لاحمد محمد عيش
٥٥٨ أندري (قصيدة) : لمحمد فهمي
٥٥٩ سر « الفيروس » وصلته بسر الحياة
٥٦٤ تباذل الاحساس : لابرهيم مطر
٥٦٧ الخزف الفاطمي : للدكتور كارل جوحان لام
٥٧٥ عمر بن أبي ربيعة : لجبرائيل جبور
٥٨١ العقلي والمادي : لفليمون خوري
٥٨٥ أثر بيتشه : لابراهيم ابراهيم يوسف
٥٩٠ المعطف : للكاتب الروسي جوجل : نقلها كامل محمود حبيب
٥٩٩ فوسيت العصرية : لرسلان عبد الغني البني
٦٠٥ سكان مصر من أقدم العصور الى ما بعد الفتح الاسلامي
٦٠٧ حديقة المقتطف * سير لوثي وناحية من ذكرياته . ليوسف البعيني . لمن (قصيدة) : لعمر أبو ريشة . العرس الاسود (قصيدة) : لفؤاد سليمان
٦١٥ سير الزمان * الامتيازات الاجنبية وهؤتمر مونترو . امتيازات الملوك : لامين الغريب
٦٢٨ المراسلة والمناظرة * مختار الصحاح : للاب أنستاس ماري الكرملي
٦٣٥ الاخبار العلمية * البلوتكين . البصامة الكهربائية لحرس السجون بدلا من حرسها . هل تقل الاعصاب فعل المخدر . البصامة الكهربائية عنوان لحرس الخائن . اكتشاف قمر آخر بالراديو المبصر . كيف اخترعت شبكات المصابيح النازية . الغذاء وصحة الاسنان . الصفير يبدد الضباب . عصير البابايا في التواريز (لموفق جندي)
٦٤٣ مكتبة المقتطف * في علم الصدود والقيود . اسماعيل المنزى علي . مشكلة السكان في مصر . مصطفى النحاس باشا او الزعامة والزعيم . شوقي او بعثة الى بيئته . تاريخ الفلسفة اليونانية